مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيد

عَلِيّ مَلَّاحْ "سِي شَرِيف"

1957 - 1924

مَنْشُورَات المَتْحَف الوَطَنِي لِلمُجَاهِد

الشهيد

علي ملاح "بي شريف"

1957 - 1924

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2010
ر . د . م . ك : 978-9961-884-86-7
الإيداع القانوني : 2010-4163

المتحف الوطني للمجاهد

ص.ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 - 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

في لَيْلَةٍ من لَيَالِي الصَّيفِ، أقامَ الحَاجُّ سعيدٌ مَأْدُبَـــةَ عَشَاءٍ احْتِفالاً بِنَجَاح ابْنِه عَبْدِ الله في اِمْتِحَانِ شَهادةِ "الباكالوريا"، ودَعا لِذَلِك الأقارِبَ وبَعْضَ الأصدقاءِ وأعْيانَ القَرْيَةِ. وكان من بينِ الْمَدْعُوِّينَ المجاهدُ سي البَشِير الذي كان يَحْظَى بِاحْتِرَام الجمِيع، لِمَا عُرِف عَنْهُ مِنْ أَخْلاَقٍ فَاضِلـــةٍ، واطِّلاَعٍ واسعٍ عَلَى تَارِيخِ الثَّـوْرَةِ ورِجالِـها.

وَبَعْدَ أَنْ تَنَاولَ الجميعُ طعامَ العَشاء، نَهَضَ أَحَدُ الْحَاضِرِين لِيَشْكُرَ صاحِبَ الدَّعْوَةِ على كَرَمِ الضِّيَافَةِ، وحُسْنِ الاسْتِقْبَال، ثُم اتّجَـهَ نَحْـوَ سي البَشِير، وَطَلَبَ مِنْه أَنْ يَقُولَ هُو الآخَـرُ كَلِمَةً بهذه المناسَبَةِ. اِعْتَذَرَ سي البشير عن ذلك، لَكِنَّ إِلْحَاحَ

الْحَاضِرِين عَلى سَماعِهِ، دَفَعَهُ إلى تلْبِيَة طَلَبِهِم، فَقَال بَعْدَ أن شَكرَ الحاج سعيدًا، وتَمَنَّى لابْنه عَبْدِ الله مَزِيدًا من التَّوْفِيق: إنَّ هذا المسْكَنَ الرَّحْبَ الذي يَضُمُّنَا الآنَ كان لأَحَدِ المُعَمِّرِين الحاقِـدينَ على الجزائرِ وشَعْبِها، لِذا عَلَيْنَا أن نَتَوَجَّهَ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ أَوَّلاَ، وَالتَّرَحُّم عَلى شُهَدائنا الأَبْرَارِ ثَانيًا، لِمَا قَدَّمُوهُ مِنْ تَضْحِيات، بَذَلُوا فِيهَا أَرْوَاحَهُم، وَأرِيقت فِيهَا دِمَاؤُهُمْ مِنْ أَجْلِ حُرِّيَةِ هذا الوطَنِ الغالي وسَعَادَةِ أبْنَائِه، ومِنْ بَيْنِهم أخِي وصَدِيقِي الشّهيدُ عَلِي مَلّاح. فلمّا عَلِمَ عَبْدُ الله العلاقةَ الّتي تَرْبِطُ سي البشير بالشّهيدِ علِي ملّاح تَرجّاه أنْ يُحدّثَهم عنْ سِيرتِه.

اِعْتَدَلَ سِي الْبَشِيرُ في جَلْسَتِه، وقالَ: وُلِدَ عامَ 1924، في بَلْدَةِ مَكِّيرَة، بعد مِيلادي بسنتيْن، مَا زِلْتُ أَتَذَكَّرُ الْيَوْمَ الذي أَتَى به أَبُوه إلى زَاوِيَةِ

سِيدِي وَارِثْ بِبَلْدَة "عَلِي بُونَاب" التي كان يُشْرِفُ عَلَيْهَا الشَّيْخُ الونَّاسُ أَحَدُ فُقَهَاءِ المنطقَةِ. كُنْتُ حينئذٍ بِالزَّاوِيَـةِ المَذْكُورَة لأنّي الْتَحَقْـتُ بها قَبْلَـهُ بِحَوَالـي سَنَةٍ، فَفَرِحْتُ بِقُدومِه، لأَنَّهُ كَانَ جَـارًا لِي، وَبَيْنَ عَائِلَتَيْنا قَرَابَةٌ. كَانَ الشَّيْخُ فَرِحًا بِهِ لِذَكَائِهِ وَسُرْعَةِ حِفْظِه.

عبد الله: مَا هِي الْمُدَّةُ التِي قَضاها "عَلِيّ" في تِلْكَ الزَّاوِيَة؟

سي البشير: لَمْ يَطُلْ بِهِ المُقَامُ في هَذِهِ الزَّاوِيَة لأنّ أبَاه نَقَلَهُ إلى زَاوِيَةٍ أُخْرَى، فَحَزِنْتُ لِفراقِه، لكنّي كُنْتُ أَلْتَقِيه في بعضِ الْمُنَاسَبَاتِ العَائلية.

اسْتَمَرَّ سِي الْبَشِير في الْحَدِيثِ عَنِ الشَّهِيدِ، فَقَالَ: لَقِيتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ قَلِقًا مُضْطَرِبًا عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِ، فَلَمَّا سَأَلْتُهُ عَنِ السّبَبِ، قَالَ لِي:

لَقَدْ فُوجِئَتْ أُسْرَتِي في الأُسْبُوعِ الْمَاضِي بِدَرَكِيّيْنِ يَطْرُقَانِ الْبَابَ، ولَمَّا فَتَحَ لَهُمَا الأَبُ البَابَ سَأَلَهُمَا: مَاذَا تُرِيدَانِ؟ فأَجَابَهُ أَحَدُهُما: نُرِيدُ ابْنَكَ "عَلِيًّا". فقال لَه أبِي: لِمَاذَا ؟ فردّ عليه أَحَدُهُما بقوله: إِنَّهُ مَطْلُوبٌ لأَدَاءِ الْخِدْمَةِ الْعَسْكَرِيةِ، ثُمَّ أَضَافَ صَاحِبُهُ: إِنَّ فَرَنْسَا بِحَاجَةٍ إِلَى كُلِّ أَبْنَائِهَا لِمُوَاجَهَةِ أَلْمَانْيَا. انْزَعَجَ الْوَالِدُ مِنْ كَلِمَةِ "أَبْنَائِهَا"؛ وكادَ يَصْرُخُ في وَجْهَيْهِما، لَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ، وقَالَ لَهُمَا: عَلِيٌّ غَيْرُ مَوْجُودٍ، لَمْ أَرَهُ مُنْذُ مُدَّةٍ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَيْنَ هُو؛ فانْصَرفَا.

عبد الله: هل مَارسَ النّشاطَ السّياسيَ؟

سي البشير: لاَ شَكَّ أَنَّ "عَلِيًّا" كَانَ عَلَى صِلَةٍ بِالسِّيَاسَةِ، لأَنَّهُ شابٌّ مُثَقَّفٌ، ومُطَّلِعٌ عَلَى الظُّلْمِ الْمُسَلَّطِ على شَعْبِـهِ؛ انْخَـرَطَ فِي حِـزْبِ

الشَّعْبِ الْجَزَائِرِيّ، وَأَخَذَ يَنْشَطُ في صُفُوفِهِ، رغْمَ أنَّ السُّلطاتِ الاسْتِعماريّةَ قدْ مَنَعتِ النّشاطَ فيه قُبيْل اندلاعِ الحَرْبِ العَالميّةِ الثّانية (1939-1945)، وبسبَبِ نشاطِه السّياسي كانتِ السّلُطاتُ الاسْتِعماريّةُ تلاحقُه مثْلَ بقيّةِ الْمُناضِلينَ في حِزبِ الشّعب.

عبد الله: وَمَـاذَا بَعْـدَ الْحَـرْبِ الْعَالَمِيَّـة الثَّانِيَّـة؟

سي البشير: مَا إنِ انْتَهَتِ الْحَرْبُ حَتَى خَرَجَ الجزائريُّون في مَسِيرَاتٍ سِلْمِيَّةٍ يَوْمَ الثَّامنِ مِنْ شهر مَاي 1945 احْتِفَاءً بِالانْتِصَارِ عَلَى النَازِيَة، واغْتَنَمُوا الْمُناسَبَةَ للمطالبةِ بِحَقِّهِمْ في الْحُرِيَّةِ وَالاسْتِقْلاَلِ، فَقَابلتْهُم السّلُطاتُ الاسْتعماريّةُ بِوَحْشيّةٍ كَبيرةٍ أثْناءَ تَصَدّيها للمُتظاهرين الّذين

رَفعوا الأعْلامَ الوطنيّة، والشّعاراتِ المُطالبةَ بالحريّةِ والاسْتقْلال.

عبد الله: هَلْ تَأَثَّرَ علِي مَـلاح بِما ارْتكَبتْـهُ السّلطاتُ الاسْتعماريّـةُ منْ جرائـمَ في حَـقِّ الجزائريين؟

سي البشير: وَكَيْـفَ لاَ يتأثَّـرُ؟! وَقَـدْ رَأَى رَأْيَ الْعَيْنِ مَا أَقْدَمَتْ عَلَيْهِ الْقُوَّاتُ الْفَرَنْسِيَّةُ مِنْ قَتْلٍ وَحَرْقٍ وَتَدْمِيرٍ حِين تَصَدَّتْ لِتِلْكَ الْمُظَاهَرَاتِ الشَّعْبِيَّةِ. لَقَدْ أَزْهَقَتْ أَرْوَاحَ مَا يَزِيدُ عَنْ خَمْسَةٍ وأربعين أَلْفًا مِنَ الجَزَائِرِيِينَ. يومئذٍ قَالَ لي: "هَذَا هُوَ الْوَجْهُ الْحَقِيقِيُّ للاسْتعمار".

حَاولَ الاسْتِعمارُ تَجْميلَ وجْهِهِ القَبيحِ بَالعفوِ عنِ المساجينِ السّياسيّينَ، والسّماحِ لَهم بِإنشاءِ أحْزابٍ سيّاسيّةٍ جديدةٍ، فَأنشَأَ مُناضِلُو حِزبِ

الشّعبِ حَركةَ الانْتصارِ للحرِّيّات الدّيمقراطيّة عامَ 1946، فانضمّ إليْها سِي عَلِي مَلَّاح.

عبد الله: هل تَولَّى بَعْضَ المَسؤولياتِ فيها؟

سي البشير: نَعَمْ، أُسْنِدَ إِليْهِ الإِشْرافُ عَلَى خليَّةٍ تَابعةٍ لِلْحركةِ بِمسقَطِ رأْسِه (مَكِّيرة) ، وَتَزَامَنَ ذَلِكَ مَعَ التَّحْضِيرِ لِلْمُشَارَكَةِ في الانْتِخَابَات البَلَدِيَّةِ لِشَهْرِ نُوفَمْبَرَ عام 1946 الّتي أَسْفَرَتْ عَنْ فَوْزِ الحَرَكةِ الوطنيةِ بِمُعظَمِ المَقاعِدِ. وفي عام 1947 عَقَدَتِ الْحَرَكَةُ مُؤْتَمَرَهَا الأوّلَ بِالعاصمَةِ، واتّفَقَ الحاضرونَ علَى إِنْشاءِ تَنْظيمٍ خَاصٍّ (شِبْهِ عَسْكريّ) يَتَولَّى عَمَليّةَ التّحضيرِ لِمرحَلةِ الكِفاحِ المُسلَّح.

عبد الله: هَلْ عُيِّنَ فيه عَلي ملاح؟

سي البشير: نعم، وشَارَكَ في التّحضير لَمرحَلةِ

الكِفاحِ المُسلَّح بِجمْعِ السّلاحِ وتَدْريبِ المناضلينَ عَلى اسْتِعمالِـه، وبِسبَبِ ذلك كانت السُّـلطاتُ الاسْتعماريّةُ تُطاردُه أيْنما حَلَّ وارْتَحل، ولَكنّه كانَ ينْجُو منَ المُطارَدَةِ دائمًا لشدّةِ حَذَرِهِ وسُرعَةِ تَنَقُّلاتِه. وبسبَبِ هذِه المُطارَدَةِ اضطُرّ إِلَى مُغادَرَةِ مَسْقَطِ رَأْسِه، وتوَجّهَ إلى ضَواحِي سورِ الغزْلان تَحْتَ اسْم مُسْتَعَارٍ، واسْتَقَرَّ هناك. فَلَمَّا عَجَزَتِ السُّلطاتُ الاسْتعماريّةُ عنْ إِلقاءِ القبْضِ عليْه لَجَأتْ إِلَى مُحاكَمَتِه غيَابيًّا سَنَة 1948؛ فَأَصْدَرَت المَحْكَمَةُ الاستعماريةُ حُكْمًا يقْضِي بِسَجْنِه عَامَيْنِ، بِالإضَافَةِ إِلَى دَفْعِ غَرَامَةٍ مَالِيةٍ. وَفِي السّنةِ المُواليةِ 1949 رَجَع إِلَى منْطقةِ القبائلِ تَحْتَ اسْم "سِي الشّريف". فَأُسْنِدَتْ إليْه قِسْمَةُ "وَاضِيَة". وبَقِيَ يُنَاضِلُ في التّنظيمِ الخَاصِّ إِلَى غَايَةِ انْدلاعِ ثَورةِ نوفمبر.

عبد الله: مَتَى التَحقَ بالثّورة؟

سي البَشير: كانَ مِنْ مُفَجّريها بِمنطَقَة القبائلِ فعندَ السَّاعَةِ الصِّفْرِ من لَيْلَةِ الْفَاتحِ من نوفمبر 1954 رَدّدتْ أَنْـحَاءُ «تيقْـزِرْتْ» وَ «عزَازْقَة» وَغَيْرِهِمَا صَيْحَـاتِ الْجِهَادِ وَهُتَافَـاتِ التَّكْبيرِ، وَكانَ هوَ ضِمْنَ الفَوجِ الّذي شَنَّ هجومًا علَى مَخْزنِ الْفْلّين بـ «عزَازْقَة». ومنـذُ ذلك الوَقْتِ لَمْ يَتَوَقَّفْ عَنِ الْجِهادِ ضِدَّ الْمُسْتَعْمِرِ الفَرنسيّ مُتَنَقّلًا بَيْنَ شَمَالِ الوَطَنِ وجَنُوبِه إلَى غَايةِ انْعقادِ مُؤْتَمَرِ الصُّومام في 20 أُوتْ 1956 بقَرْيَةِ «إيفْري» بِأُوزْلاَقَنْ الواقعة عَلَى الضَّفَّة الْغَرْبِيّةِ لِوَادِي الصُّومَامِ.

عبد الله: هلْ شاركَ علِي ملاح فِي المُؤْتَمَر؟

سي البشير: لمْ يُشَارِكْ فيه، ولكنّهُ عُيّنَ عضوًا في المَجْلسِ الوطنِيّ الّذي أسْفرَ عنْه المُؤتمَرُ، وفِي

هذا المُؤتمرِ قُسّمَ التُّرابُ الوطنيّ إلى ستِّ ولاياتٍ؛ عُيّنَ علي ملاح عَلى رَأسِ الولايةِ السَّادسةِ (الصّحراء). وَأَثْناءَ تَوَجُّهِه إليْها تَوَقَّفَ بِضواحِي البَرْوَاقيّة القَريبَة مِنْ مَدينةِ الْمديّة وَقَبْل وُصولِه إلى الولاَيَة السَّادِسَةِ اِسْتُشْهِدَ فِي شَهْرِ مَاي مِنْ سَنَة 1957.

عبد الله: حَدِّثْنا عَن ظُروفِ اسْتِشْهادِه.

سي البشير: سَقــطَ شهيدًا نَتيجَـةَ الغَــدْرِ والخِيانَة.

عبد الله: منِ الخائـنُ الّذي غَـدَرَ بِـه؟

سي البشير: غَدَرَ بِه خائنٌ كانَ يَعملُ جُنديًا فِي صُفوفِ قُوّاتِ العدوّ، ثُمّ فرَّ منهَا مُتظاهِرا بأنَّه يُريدُ الالتِحاقَ بِصفوفِ جيْشِ التّحريرِ الوطنيّ، فَانْدَسَّ فِي صُفــوفِ المُجاهديــن، وَبَــدأ يخطّطُ

لارْتكابِ جَريمَتِه، وَفي ليْلَةٍ منْ ليالي شَهر مَاي وَجدَ علِي ملاح وحْدَه فأَطْلقَ عليْه الرّصاصَ.

الْمَجْدُ وَالْخُلُودُ لِشُهَدَائِنَا الأَبْرَارْ